



## المنهج الوصفي

### أولاً: ظروف النشأة

لقد كانت الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة هي السائدة آنذاك، وكان الاهتمام باللغة السنسكريتية هو أساس عمل اللغوي في أوروبا، حتى أصبحت السنسكريتية هي المرشد في دراسة اللغة، وكان تعلمها فرضاً على اللغوي، كان مسار الدراسات اللغوية على هذا النحو حتى جاء فردينان دي سوسير الذي ولد في عام ١٨٥٧م، من أصل فرنسي، ودرس في جنيف، ثم أكمل دراسته في ألمانيا في أثناء ازدهار الحركة اللغوية التاريخية كما أنه شارك في هذه الحركة تأليفاً وتدريساً.

### أهم روافد فكر سوسير

كان لدور كايم ومحاضراته في علم الاجتماع التي ألقاها في سنة ١٩١٧م، الأثر البالغ في اتجاه سوسير، إذ ذهب دور كايم أنّ (الوقائع الاجتماعية) هي أشياء عامّة وليست فردية، وأن اللغة هي إحدى هذه الأشياء التي تكون عامّة وليست فردية، وهذا الأمر حدا بسوسير إلى تحويل درس اللغوي إلى الاتجاه العلمي وتطبيق قوانين العلم على اللغة في دراسة ظواهرها.

### أهم أفكار سوسير

١. نبذ الدراسة التاريخية والدرس اللغوي التقليدي القديم، لذا فإنه لا يبحث في القواعد النحوية التقليدية القديمة؛ لأنها أسست على لغات بطل استعمالها.
٢. استعمال المنهج العلمي في دراسة اللغة؛ لأن اللغة هي علم مثل بقية العلوم التي يطبق عليها المنهج العلمي، مثل : (علم الاجتماع ، علم الرياضيات ...)
٣. النظر إلى اللغة نظرة وصفية تعتمد على الملاحظة المباشرة للظواهر اللغوية، وهو لا يهدف إلى وضع قواعد يفرضها على المتكلمين باللغة.

واللغوي الوصفي بهذا المفهوم يصف فقط، أي أنه يصف اللغة بمستوياتها بدون التدخل في التحليل لأية ظاهرة من الظواهر اللغوية، بينما اللغوي التقليدي يقدم قواعد تعصم اللسان أو القلم من الخطأ أو اللحن، وتقيد مستعملي اللغة بمستوى لغوي محدد يجب الحفاظ عليه ويمتنع الخروج عنه وترسم لهم حدوداً لما ينبغي أن يقولوا، وهذه الحدود تُستخلص من كتب اللغة القديمة، وفق الاستعمال القديم للغة، وهي تهمل الاستعمال الحديث للغة.

ومن أهم أفكار دي سوسير أنه فرق بين مجموعة من الثنائيات المتعارضة، وهي:

#### ١. ثنائية (السان . كلام )

فرق سوير بين ثلاثة مصطلحات (اللغة، اللسان، الكلام)

**اللغة ( Langue )** : ظاهرة إنسانية لها أشكال كثيرة تنتج من الملكة اللغوية. واللغة نظام أو مجموعة قواعد يتعلمها أفراد مجتمع لغوي معين، وتكون مستقرة بشكل تجريدي في أذهانهم . أو بمعنى آخر اللغة هي تلك القواعد الصوتية، والتركيبية النحوية، و الصرفية، و الدلالية المعجمية، فإذا تكلم الفرد لغته لا بدّ أن ينضبط بهذه القواعد الخاصة بلغته صوتياً و نحويّاً و صرفياً و دلاليّاً و إلاّ اعتُبر مخطئاً

**اللسان (Langue):** اجتماعي وعرفي ومكتسب، ويشكل نظاماً متعارفاً عليه داخل جماعة إنسانية محددة ، نقول مثلا : (اللسان العربي، اللسان الفرنسي...) ونطلق عليه في العربية عادة كلمة (اللغة).

**الكلام (Parole):** وهو شيء فردي ينتمي إلى اللسان، والكلام سواء كان منطوقا أو مكتوبا فهو التحقيق الفعلي لتلك القواعد السابقة من المتكلم عن طريق صياغتها في جمل و تعابير، وتوظيفها وممارستها بشكل واقعي .

وقد دعا سوسير إلى الاهتمام بدراسة (اللسان) لأنه اجتماعي وعرفي، أي يشترك فيه أفراد المجتمع، وأنه وسيلة الاتصال ما بين الناس.

## ٢. ثنائية (دال ومدلول)

يؤمن سوسير بوجود الرمز اللغوي، أي أنه يرى أن الكلمة تحتوي على رمز أو علامة يدل على الكلمة في اللفظ والمعنى، كما أنه يرى أن الرمز اللغوي يتكون من الدال: وهو الصورة الصوتية للكلمة (حسية) والمدلول: هو الصورة المفهومية أو الذهنية (التصور) التي تعبر عن المتصور الذهني، وتتم الدلالة باقتران الصورتين الصوتية والذهنية وبحصولها يتم الفهم. والمهم في هذا أنه يرى أن العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة اعتباطية غير معللة، أي أن العلاقة بين اللفظة ومدلولها هي علاقة اعتباطية، مثلا: لو اصطلح الناس على تسمية الشمس قمر لجاز ذلك.؟؟؟

وهذا يعني أن للمواضع والاصطلاح والإرادة ما بين الناس لها أثرها في اقتران الألفاظ بمدلولاتها.

## ٣. ثنائية المحور الاستبدالي والمحور النظمي:

إذا قلنا: (سقطت طائرة مروحية قرب المطار) ف (الطائرة المروحية) ضمن نسق الجملة ما يُستخلص من المحور النظمي، إلا أن نسق الجملة لم يُقدم لنا معنى آخر يُفاد منه وهو المحور الاستبدالي: هل هي (طائرة ركاب ، طائرة حربية، طائرة شراعية، طائرة نقاشة...).

إذ فرق بين المجموعات اللغوية الكامنة في الذاكرة والمجموعات اللغوية الحاضرة في الجملة، والتي تشكل محورًا أفقيًا نَظْمِيًّا، ولإدراك المعنى يجب النظر إلى المحورين معًا.

### خطوات المنهج الوصف

١. الاستقراء: معناه أخذ المادة اللغوية من مصادرها (مستعملوها) عن طريق الاتصال المباشر بهم، فاللغوي يسمع ويدون ويسمى هذا بـ(الدراسة الحقلية)، ويعتمد اللغوي الواصف على عينة (الراوي) أو (مساعد الباحث)، ويُشترط فيه أن يكون:

- أ. أن يكون ممن نشؤوا ونموا في ظل هذه اللغة كي يمثلها تمثيلًا صحيحًا.
- ب. أن يكون أميًا لا يقرأ ولا يكتب لكي لا تؤثر العوامل الثقافية في تمثيله الصحيح.
- ت. أن لا يكون قد خرج من المنطقة التي نشأ فيها؛ لأن كثرة الأسفار والاحتكاك باللغات الأخرى يجعل المرء عرضة للتغير في نطقه.

٢. التصنيف: وهي الخطوة الثانية، ويعني تقسيم المادة اللغوية، وجمع ما يتوافق أو ما يختلف منها في الشكل أو المضمون، ثم تسميته باسم معين يعرف بـ (المصطلح) فما توافق منها ائتلف وجُعل في صنف معين، وما تناكر واختلف في صنف آخر.

٣. التقعيد: أو القاعدة، يجب أن تتصف بالعموم، أي أنها تكون عامة لا شمولية، والقاعدة لا يضعها أو يفرضها الباحث الوصفي بل هي تعبير عن شيء لاحظته فوصفه.

وما خرج عن القاعدة فعلى اللغوي الوصفي أن ينحيه عن طريقه، ليدرسها في نطاق عمل آخر.

### الوصفية عند بلومفيلد (Bloomfield)

يُمثل بلومفيلد المدرسة الأمريكية في دراسة اللغة من المدة (١٩٣٠-١٩٥٠)، كما مثل قبله سوسور المدرسة الأوربية في دراسة اللغة أيضًا.

وقد تأثر بلومفيلد بسوسور كما تأثر بأعلام المدرسة الأمريكية مثل: (فرانز بوب) و(إدوارد سابير).

وقد حاول بومفيلد أن يجعل دراسة اللغة دراسة علمية مستقلة عن العلوم الأخرى، وقد حاول أن يُكمل ما بدأ به سوسور.

وقد تأثر بومفيلد بالمذهب السلوكي (Behaviourism) في علم النفس، وهو مذهب يقوم على الملاحظة والاستجابة العضوية لمنبه أو مثير خارجي تقدمه البيئة المحيطة بالكائن الحي.

ويضرب السلوكيون أمثلة على ذلك، من هذه الأمثلة مثال (جاك وجيل والتفاحة)، إذ تشعر (جيل) بالجوع، وترى الشجرة وفيها التفاحة، مع الإحساس بالجوع، فكل من الرؤية والإحساس يعدان منبهان ومثيران لها، فتندفع إلى الكلام طالبة من (جاك) أن يأتيها بالتفاحة، وعندئذ يتحول كلامها إلى مثير لـ(جاك)، فسيبادر (جاك) إلى الكلام أو تنفيذ المطلوب.

وقد حاول بلومفيلد تطبيق هذا المذهب على دراسة اللغة، إذ يرى أنّ الكلام سلوكٌ مادي مسموع، يمكن إخضاعه للملاحظة؛ لذا فإنه بدأ بدراسة الأصوات ؛ لأتته يرى اللغة منطوقة وناتجة عن منبّه أو مثير يؤدي إلى استجابة منطوقة أو غير منطوقة، يكون المنطوق الأول منبّهًا ، أو مثيرًا لها؛ لذا فقد استبعد في كتابه كل الجوانب التي لا تخضع للمعايير العلمية الموضوعية، مثل المسائل الإنسانية والثقافية والغرائزية ممن لا تخضع إلى الوصف والقياس والتجريب.

وعلى الرغم من اشتهار بلومفيلد ببحوثه في الفونيم و المورفيم، إلا أنه عُرف بنظريته النحوية ( نظرية المكونات المباشرة) فمهمة النحوي تقتصر على تحليل الجملة إلى المركبات النحوية المباشرة، وبعدها تحليل هذه المركبات إلى مكونات نحوية وهكذا...إلى أن يصل التحليل بنا إلى وضع تبدو فيه عملية التحليل مستحيلة.

وقد ردّ تشومسكي على هذه الفكرة ويرى أنّها غير دقيقة؛ لأن المتكلم يستطيع التكلم بصرف النظر عن وجود منبّه أو عدمه، ويستطيع الامتناع عن الكلام بوجود ذلك المنبه الخارجي وعدمه، إذ يمتنع أن يُكلم نفسه، أو أن يُفكر بوساطة الكلام، وأن يتكلم في نومه، وقد يُطلب منه أن يتكلم لكنه يعته بالسكوت.

ويرى تشومسكي أنّ الكلام ليس نشاطاً غريزياً، إنّما هو نشاط عقلي يُكتسب بالمران والصقل والتعليم المستمر، فالكلام عنده نشاط عقلي خالص تشترك فيه قوى الفرد النفسية والذهنية والذاكرة النشطة.

وقد جاء بعد بلومفيلد زيلغ هاريس (Harris) وحاول أن يتجاوز العيوب التي وجهت إلى بلومفيلد ، فقد حاول أن يُقدم إنموذجاً للدرس النحوي مبرءاً من الأخطاء فألف كتابه (تحليل الخطاب)، الذي انتقد فيه نظرية بلومفيلد واقترح إنموذجاً عُرف باسم (النظرية التوزيعية).

## ما هي النظرية التوزيعية:

هي نظرية تقوم على تصنيف مفردات اللغة في جداول وفقاً لما فيها من مورفيمات (حرة أو مقيدة)، فكل مورفيم منها ينتمي إلى صيغة صرفية، ولكل صيغة صرفية خانة من الخانات التي تتألف منها الجملة، فالصيغة التي تنتمي إلى الاسم مثلاً تقع بعد أداة التعريف، لكن الصيغة التي تنتمي إلى الفعل لا يمكن أن تقع بعد أداة التعريف، والصيغة التي تنتمي إلى صنف الأفعال لا يمكن أن تقع بعد حرف الجر وهكذا...

. المصدر: في اللسانيات ونحو النص، د. إبراهيم محمود خليل.